

سورة الحديد (الآيات: 5-8)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض دلائل قدرة الله وعلمه الواردة في الآيات.
- 2- أن أدرك أن توحيد الله وقدرته وعلمه يوجب له الإيمان والطاعة.
- 3- أن أعتبر بالدلائل والبراهين للدوام على الإيمان والطاعة.

تمهيد

بعد أن عرضت الآيات السابقة أدلة وحدانية الله وتماه قدرته وإحاطة علمه، جاءت هذه الآيات لتستظهر المزيد من هذه الأدلة، حيث أخبر سبحانه أن كل ما في السموات والأرض ملك له مذكرا ببعض الظواهر الكونية التي تدل على قدرة الله عز وجل، وهو ما يوجب الإيمان به وطاعة أمره والالتزام بشرعه.

فما هي دلائل قدرة الله الواردة في الآيات؟ وما ذا يترتب على الإيمان بذلك؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٦﴾ • ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنِعُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَعِينَ فِيهِ بِأَلَدٍ ءَامِنُوا مِنْكُمْ

وَأَنْقِفُوا الدُّعْمَ، أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا
بِرَبِّكُمْ وَقَدْ آخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ . [سورة الحديد: 5-8]

الفهم

الشرح:

يَدْعَاةِ الصُّدُورِ : بما تضرره الصدور وتعتقده .

مُسْتَخْلَعِينَ فِيهِ : الأموال التي بين أيديكم .

مِيثَاقَكُمْ : ما جعل الله في عقولكم من النظر المؤدي إلى الإيمان .

استخلاص مضامين الآيات:

1- أين تتجلى قدرة الله تعالى في الآيات؟

2- بماذا أمر الله تعالى عباده في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: دلائل قدرة الله ومظاهر نعمه على الخلق:

ما زالت هذه الآيات تعدد دلائل قدرة الله وبديع صنعه، قال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقد تقدمت في أول هذه السورة وتكررت هنا تأكيداً لما سبق وليبني عليه قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، فكان ذكره في أول السورة مبنيًا عليه

التصرف في الموجودات القابلة للحياة والموت في الدنيا، وكان ذكره هنا مبنياً عليه أن أمور الموجودات كلها ترجع إلى تصرفه. وقوله تعالى: ﴿وَالِلّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الأمور أفعال الناس، والمراد: رجوع أهلها للجزاء على أعمالهم في الحشر إذ لا يتعلق الرجوع بحقائقها. وهذا تأكيد لجملة ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: له ملك العوالم في الدنيا، وله التصرف في أعمال العقلاء من أهلها في الآخرة. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 27/265]

ثم قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: ومعنى إيلاج الليل في النهار، أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل: الإيلاج: هو ما ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر ﴿وَنُفُوعٌ لِّمَنَ يُدْرِكُ الْيَوْمَ﴾ أي: أنه سبحانه عليم بما تضره الصدور وتعتقده، فـ ﴿يُدْرِكُ﴾ هنا مؤنث «ذي» بمعنى صاحبة، والصحبة: هنا بمعنى الملازمة، لأن المضمرات تصحب الصدور.

ثانياً: الأمر بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وطاعته:

بعد أن ذكر الله تعالى أنواعاً من الدلائل على التوحيد والعلم والقدرة، أتبعها بحقها، الذي هو التكليف الشرعية، فقال: ﴿ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ ومعناه: دُوموا على الإيمان بالله ورسوله، إن كان خطاباً للمؤمنين، فيكون تمهيداً لدعوتهم إلى الإنفاق وغيره، وإن كان خطاباً لغير المسلمين، فمعناه أَدِثُوا الإيمان ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، وروي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله تعالى: ﴿بِالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَكُمْ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ. ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق لجميع الناس، وقوله ﴿مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني أن الأموال التي بأيديكم

إنما هي أموال الله لأنه خلقها ، ولكنه متّعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها ، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء ، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكم أن تنفقوها فيه ، ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال ، فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم ، كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه: تحريض على الإنفاق وتزهد في الدنيا .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ خطاب لمشركي قريش ، ومعناه: أي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة والمعجزات الظاهرة لتؤمنوا بربكم؟ فقلوه: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار أي: لا مانع لكم من الإيمان . و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه ﴿مَا لَكُمْ﴾ ، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال .

وقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم ، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ فقالوا: بلى . وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تذكير بأن ذلك من مقتضيات الإيمان ، أي: إن كنتم مريدين الإيمان بذلك ، فبادروا إليه .

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات عدة مقاصد تربوية ، منها:

- تفرد المولى عز وجل بملك العوالم ، وتصرفه فيها وفق نظام بديع دال على وجود الخالق وكمال قدرته .

- الدعوة إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق وجلاله.
- توحيد الله وقدرته وعلمه توجب الإيمان به وبرسوله والإنفاق في سبيل الله.
- الأمر بالإنفاق في سبيل الله يؤكد مبدأ التضامن والتعاون على الخير.

التقويم

- 1- أحدد بعض دلائل قدرة الله عز وجل في الآيات.
- 2- لماذا أنكر القرآن الكريم على المشركين عدم إيمانهم في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؟
- 3- ما هي آثار الإنفاق في سبيل الله على المنفق والمنفق عليه؟

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي في قوله تعالى: ﴿وَأَنعِفُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهَا﴾: «في الآية وجهان:

الأول: أَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ إِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ لَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا تَحْتَ يَدِ الْمُكَلَّفِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا عَلَى وَفْقِ إِذْنِ الشَّرْعِ، فَالْمُكَلَّفُ فِي تَصَرُّفِهِ فِي هَذِهِ الْأَمْوَالِ بِمَنْزِلَةِ الْوَكِيلِ وَالنَّائِبِ وَالْخَلِيفَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَسْهَلَ عَلَيْكُمْ الْإِنْفَاقُ مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَالِ، كَمَا يَسْهَلُ عَلَى الرَّجُلِ النَّفَقَةُ مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ إِذَا أْذِنَ لَهُ فِيهِ.

الثاني: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ لِأَجْلِ أَنَّهُ نَقَلَ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْثِ، فَاعْتَبَرُوا بِحَالِهِمْ، فَإِنَّهَا كَمَا انْتَقَلَتْ مِنْهُمْ إِلَيْكُمْ فَسَتُنْقَلُ مِنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَلَا تَبْخُلُوا بِهَا». [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 450/29]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- ما المقصود بكون الإنسان مستخلفاً في المال؟
- 2- ما هو ضابط إنفاق المال المشار إليه في النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 9- 11 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ** - **إِنِّج** - **الْحُسْنَى** - **فَرَضًا حَسَنًا**.
- 2- أحدد دواعي الإنفاق في سبيل الله في الآيات.
- 3- أبحث عن سبب نزول قوله تعالى: **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ...﴾** الآية.